أشرّ السمك

وألذّهُ طعماً

طبائع سمك عجيب في صراوته

من أكثر من ترون كتب الرحالة حيوانات ما بلي : — في صباح اليوم الثالث من ابريل اصطاد الهنود الذين يرافقون تشكلاً يعرف في هذه البلاد باسم « كريب » او « كرابيتو » ولا يُعرف صنف آخر من السمك يجاريه في شرهه وولعه بالدم : فهو يهاجم السمكيين والسبّاحين فينهشهم ويقرض بضعة من لحمهم والهنود يخشون هذا السمك وقد أرانا فريق ندوباً في اجسامهم ولا سيما الفخذين أصلحنا من نهشه

« والسمك يسبح في قيعان الانهر وكلما سفكت قطيرات من الدم في ماء النهر ارتفعت الوف منهُ الى سطح الماء ، فاذا جرح سابح وهو يسبح هاجمهُ السمك فلا ينجو منهُ سليماً . واذا هجمت تشكلا عليه وجرحتهُ جرحاً يسيراً كفى دم النائل من الجرح لتدفعها غريزة ابيه فتنهشهُ

« واذا تأملنا هذا السمك وعدده ونوع صوته اكبره والصغير لا يزيد على اربع بوصات او خمس ، واسنانهُ المثلثة الحادة وسعة شدقيه ، لم يدهشنا ما يجرّكه في الناس من الرعب »

بهذه الكلمات وصف حيوانات ما قد يكون صورة الأولى الدقيقة لسمك يضعهُ العلماء باسمهُ « اشرّ السمك المعروف في العالم »

يعرف هذا السمك في جنوب اميركا باسماء متعددة ، ولما كان معظم صيده يرازيليًّا حيث اللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية ، فالاسم الذي يطلق عليه هناك هو البيرانا ، وهو يلفظ حرف الـ محففاً وهو الاسم الذي سنعتمده . والجسم « البيرانا » الصغير عريض منضغط في الجانبين ، وأكثره صغير لا يزيد طوله على ثلث والمعدل اقل من ذلك

موطنه في الشرق من جبل الانديس من فنزويلا الى غيانا ثم جنوباً الى نهر جواي . ومع انهُ يفضل جميع الانهر والجداول الا انهُ يفضل على غالب الماء ساكن فوق الشلالات وتحتها . وهذا من دواعث الارتياح لانهُ توكثر في جداول الانهر تحذر على الذين يخوضون تلك المياه الدافئة بينها قصد الاجتياز من ضفة الى ضفة . ومع ان هذا الصنف من السمك يعدُّ ضئيلاً بين اصناف السمك ، الا ان عدده في منطقة ما كبير جداً علاوة على انهُ شرهٌ شديد الشرّه

هذا السمك مشهور بانهُ أضرى السمك صلافاً . وهو قرضاب (شرف) لا يدع شيئاً أكلهُ omnivorous ويهجم على كل حيٍّ من الاحياء يسوقهُ القدر الى موطنهِ . ومعظم الوحوش (carnivorous) تأكل أحياء أصغر منها ولكن هذا السمك يأكل كل شيء من الساد[1] Tapir الى البكاري (اسم محلي لحيوان بوني صغير مسالم في العالم الجديد) . كما يأكل نوعهُ على نحو ما قال شوقي (فبالك هرَّة أكلت بنيها وما ولدوا وتنتظر انيبا

ومعظم موت هذا السمك مستمد من موطنهِ ولذلك يفترس السمك الذي يعيش في الأنهر والبرك والبطائح . وعليه فيجب ان يكون السمك الذي يعيش في موطن « البيرانا » دائم اليقظة لانه اذا غفلت عينهُ لحظة واحدة فقد يكون في ذلك أجله المحتوم . وكثير من السمك الذي يصطاده أبناء البلاد تظهر فيه آثار نهش البيرانا من زعانف مكسورة وما أشبه

وكتب هوتي يقول : إن ما يشبه هذا السمك هو الدم لا اللحم . فطعم الدم يحركهُ كما تحرك رائحة البارود فرس القتال . ولا تكاد السمكة تذوق طعم الدم حتى تتشنج فوراً من انفعال وسورة

فوجود حيوان مجروح في الماء او قذف قطعة من اللحم النيء فيه يفعل فعل السحر في جذب سمك البيرانا من سكنه المائي العميق الى سطح الماء واذا البركة الساكنة الماء كانها المرآة : تصبح في لحظة وهي تموج بأسماك تتوى وتنقلب تتافس بعضها بعضاً في نهش اللحم فتكون البركة غدت قدراً كبيراً إلى ويفور . وقد يلبث زاحف او اي حيوان آخر في نهر أنفهُ هذا السمك بغير ان يراجع اذا لم يكن في جسمهِ جرح بيِّن . ولكن اذا كان في جسم الحيوان جرح صغير وتطرق منهُ قطرة واحدة من الدم هجم عليهِ السمك

وكثيراً ما يصطاد الصيادون من ابناء البلاد تمكن بالصنارة فيجدون حيناً ان الصنارة لا ترتفع من الماء الا وقد علق بها هيكل تحت نهش كل لحمهِ او معظمهُ . وقد يرونهُ ميتاً امامهم من غير ان يزداد طائر على أثر اصابته برشاش الصياد اذا سقط في الماء يقتلهُ هذا السمك فالسمك يلتهمهُ فلا يبقي منهُ الا ريشه . واذا كان الحيوان الساقط من البيوت لم يبق منهُ الا عظمهُ

ويروى ان تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاسبق اصطاد حيواناً يدعى تابير (وهو اسم برازيلي حيوان يشبه الخنزير الهندي والارنب الهندي ويبلغ ثلاثة اقدام ويشبه فرس النهر وهو من فصيلة القوارض) فوقع في فم جذور فما انفلت عنهُ عشر دقائق حتى نهش نصفهُ . ويقول مالك جنزر انهُ قذف بخروف في نهر يكثر فيهِ هذا السمك فالتهم السمك نصفهُ في دقيقتين ونصف دقيقة

---

(١) عن شرف جنس منه خمسة انواع واحد منه في افريقا واربعة في اميركا الوسطى والجنوبية قال ... وهو حيواني غير صفة الفيل الا انه أصغر منه جسماً وأعظم من الثور

واعلماء التاريخ الطبيعي طريقة يتبعونها بعد صيد حيوان من الحيوانات. ذلك انهم يسلخونهُ فيحتفظون بالجلد ويقذفون بالجثة في نهر او جدول قريب ، فاذا كان الجدول من الجداول التي يعيش فيها هذا السمك فلا تفتأ الجثة في الماء حتى يهجم السمك عليها يمزقها ارباً ارباً . ويقول ميلر انهُ في اثناء التنافس على نهش جثة ما يقذف السمك بعضهُ بعضاً خارج الماء

ويروي همبلتون ريس حادثة عجيبة اتفقت له وهو يرود مجرى نهر الاورينوكو قال انهُ شاهد صقراً ينقض وبين مخالبه حية فاقترب في اثناء انقضاضه من سطح الماء . ولا يعلم ريس ما حدث فعلاً وهل مسَّت الحية سطح الماء ولكنهُ رأى بعينه سمكة من صنف البيرانا تشق الماء بسرعة البرق وتنتزع الحية وتقوض بها الى القعر

وقد شاهد باحث يدعى هارتلي في اثناء ارتياده غيانا البريطانية ما يؤيد رواية ريس فقال ان في تلك المنطقة نوعاً من العصافير — يُدعى كسكاداي — يطير في الأجم التي على حافة الجدول ويحوّم فوق مائه فيلتقط الحشرات او قد يصيب احياناً سمكاً صغيراً يصطاده. وعادة هذا الطائر ان يضرب الماء بذيله وهو يلتقط فريسته فيطاير رشاش الماء . وهذه الضربة ترتدُّ في نحره لانهُ في كثير من الاحيان تكون سمكة البيرانا بالمرصاد فتشق الماء كالسيف وتقبض على الطائر قبل ان يستطيع الطيران فتلتهمهُ

ومع ان هذا السمك يأكل على الاكثر ما يصيده من السمك الحيّ في الماء الاّ انهُ يأكل اشياء اخرى كالحبّ والثمار والحبوب . وقد روى هارتلي ان في غيانا البريطانية مصنعاً كيميائياً يستخرج الزيت من الفستق السوداني ويبقي قشر الفستق بعد استخراج الزيت منهُ في الماء فتلتهمهُ سمك البيرانا . والباحثون غير متفقين في حل هذا الصنف من السمك يأكل بعضهُ بعضاً . فقد روى ميلر ان هذا السمك انهى على جيف القردة والعصافير التي القيت في نهر يلكومايو فعرفها التي جرد لحمها عن عظمها ولكن عندما القى اليه بسمك ميت من نوعه عافهُ . ويرى تيودور روزفلت ان سمك البيرانا لا يأكل بعضهُ بعضاً . ويخالفهما جميع علماء التاريخ الطبيعي الذين فحصوا عن رأي في هذا الموضوع . فشوبورجك اصطاد سمكة من البيرانا بصنارة ثم نزعها من الصنارة والقاها حالاً في الماء عند صفة الجدول فعادت الى الحياة وسبحت في الماء ولكن جيء بها نحو عشرين سمكة من نوعها وجردوا لحمها عن جسمها والقى اليه بقطعة من الكعك دس فيها خلاصة الكرينيك فأكلها . سمك البيرانا يتأثر بالخلاصة السامة ويزيح في الماء فتهاجمه سمك من نوعه وتأكلهُ

وسمك البيرانا يستطيب لحم البشر ، وعجب الدليل على ذلك في كل كتاب كتبه مؤرخ طبيعي عن جنوب اميركا من همبولت الى بيب . فيلر يروي ان سمكة نهشت قطعة من اصبعه ويروي تورن انهُ رأى بعينه سمكة تقطع ابهام احد بحارته . ونسرد هنا جفرن حوادث اخرى

من هذا القبيل . ولكن تذكري رأى المؤلف عن كثب . فقد كان يصيد هذا السمك من فرع شجرة متدل فوق النهر وكان الصيد حسناً لكثرة السمك . ولكنه فقد توازنه وهو يصيد وسقط في النهر . ولم يكن الشاطىء بعيداً عنه فسبح اليه بأقصى قوته فلم يصل الا بعد ان نهشه السمك في غير موضع . وهو مقتنع بأنه لو فقد وعيه بضع ثوان وتجزع عن السباحة لما خرج من الماء حيًّا

وليس بين علماء التاريخ الطبيعي من هو أعرف بمجاهل البرازيل من الكولونيل روندن الذي صحب تيودور روزفلت في رحلته الى «نهر الشك» . ومن رواياته أنه يعرف فتى في العاشرة عشرة من العمر خاض ماء جدول يقطعه هذا السمك للسباحة فهاجمه السمك ونهشه في ذراعيه وفخذيه وهو يحاول ضربه للافلات منه وأخرج الفتى من الماء وهو على آخر رمق ولم يشف الا بعد علاج دام ستة اشهر . وحدث مرة اخرى ان احد رجاله جسر عموداً من الخيزران في ماء نهر فقتل كثير من السمك وهاج كثير وطفا الجميع على سطح الماء فخاض الرجل جسمه فامتلأت يداه بما جمع فوضع سمكة بين ثنايا واتفق ان تلك السمكة كانت من نوع البيرانا وكانت دائخة فعادت الى الحياة وقطعت قطعة من لسانه فعرف الجرح حتى حتى الموت نزفاً

وفي أحد الايام خرج أحد الرجال من المضرب الذي كان فيه الكولونيل روندن على بغل أسود وبعد قليل عاد البغل بغير راكبه . فاقتفوا اثره في الغابات حتى وصلوا الى نهر فعثروا هناك على هيكل الرجل العظمي وقد جرد من لحمه وتبين لهم ان سمكة بيرانا قد سقطت في الماء فنهشت السمكة لحم ساعد الرجل ونهشه السمك حتى

وخطر هذا السمك لا ينقضي بعد صيده وإخراجه من الماء فاذا صيد بصنارة وجب ان يقتل رأسه حتى يفقد التصور قبل نزع الصنارة من حلقه وتكثر في كرانداز احد ما تشتهر به محاولة ان ينزع الصنارة من حلق سمكة بغير ان يقتل رأسها فتشت السمكة بصنارة صيد

ومن قول روزفلت في هذا الصدد انه قبل ان يقتل السمكة يحسن ان يتركها بعد صيدها وانتظار حتى طور سمكية . فاما تلوى كأن قوة شيطانية تحركها . وقد رأى سمكة شديدة قضت ساعة من الزمان تصارع وتلوى وترتجف حتى انقضى عليها الليل وهي تتلوى ومن الخير ان يروي انه اذا صيدت سمكة وتصرخ وتعوي جميع الوانا من شدة الوجع الطبيعي على صحة هذه الشهادة الغريبة . وهؤلاء المشاهدون الذين لا يثقون بصوت طبيعي عند ما تخرج من الماء ويرتجي بذلك انها كانت تئن من الألم قطعة نهشتها من جسمه ؟ وده جراف اذ قال لا انها تصيح صياحاً لا يوصف الا بأنه هرير خفيف وهو يرفع من النفس من عضتها ؟ وروزفلت اذ قال ان صوتها « زعيق تعجب » . ولكن شفع فيها انها لذيذة الطعم